

مناجم في حوض الشتاء

ديوان شعر فصحى

الطبعة الثانية

2020م - 1442هـ

ديوان العرب

للنشر و التوزيع



ملحوظة: حقوق الطبع جميعها محفوظة للمؤلف

عنوان الكتاب: مناجم في حوض الشتاء

اسم المؤلف: أحمد بياض

التصنيف الأدبي: ديوان شعر فصحي

رقم الإيداع: 2020 / 17196

الترقيم الدولي: 6 - 51 - 6830 - 977 - 978



تصميم الغلاف: د. محمد وجيه

التدقيق اللغوي: د. هبة ماردين

التسويق الداخلي: د. محمد وجيه

رقم الطبعة: الطبعة الثانية

المدير العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.





مناجم في حوض الشتاء

ديوان شعر فصحي

أحمد بياض





أحمد بياض

إِهْدَاء

إلى روحها

حين تعلو

فوق مفترق الشيطان

أمي ...

أحمد بياض

الصناعة الرمزية والتعدين للخيال والذات في ديوان¹

دراسة ذرائعية لديوان (مناجم في حوض الشتاء) لأحمد بياض
إعداد الناقد الذرائعي: عبد الرحمن الصوفي / المغرب

أولاً- مقدمة:

الشعر العربي في الوقت الحاضر يختلف اختلافاً كبيراً عن شكله المتعارف عليه في العصور السابقة، خاصة مع ظهور موجات شعرية وافدة متعددة الأسماء والمسميات، ومضة، غمضة، هايكو، الواكا، حر، نثري، ثلاثي... لذلك سنقدم لمحة موجزة عن التطور الذي عرفه الشعر العربي عبر مختلف العصور التاريخية.

الشعر العربي القديم حرص على الوزن والقافية، وإذا خلا منهما النص لا يعتبر شعراً، بل يخرج إلى الخطابة أو الفصاحة أو الحديث، ومن أجل هذا الغرض ظهرت عدة كتب تدرس الأوزان والقوافي، وكتب أخرى تجمع وتدون وتصنف الشعر إلى مجموعات بالاعتماد على الأغراض وموضوعات

¹ المصادر والمراجع:

- 1 - النظرية الذرائعية في التطبيق على النصوص العربية / عبد الرزاق عودة الغالبي
- 2 - الذرائعية اللغوية بين المفهوم اللساني والنقدي / عبد الرزاق عودة الغالبي
- 3 - دور الذرائعية في سيادة الأجناس الأدبية / عبد الرزاق عودة الغالبي

الشعر. نجد المؤرخين قد اعتبروا الشعر العربي القديم حاملاً لمضمون الإمتاع والنفع والتعقل والتبصر والحكمة... كما أن الشعر العربي القديم يحمل الأخلاق والقيم العربية، والافتخار بالانتماء للمكان المشكل لهوية وشخصية الشاعر ومجتمعه العربي

عرف الشعر الجاهلي بالقصيدة المتكونة من أبيات، كل بيت مستقل عما قبله وبعده في التركيب، وتتصل الأبيات كلها في المعنى، وتنتهي القصيدة كلها بحرف واحد في القافية، وتمتاز بموسيقى تتحدد مع البحر المتبع. أما شعر صدر الإسلام فارتبط بظهور الدعوة الإسلامية، فأصبح الشعر مساهماً في الجهاد لنصرة الدين الجديد، والفخر بالرسول صلى الله عليه وسلم، بلغة واضحة وسهلة بعيدة عن الغموض والغربة. أما الشعر الأموي اتسعت مواضيعه، وتطورت أساليبه تبعاً للمظاهر السياسية والثقافية والفكرية، وأضاف الشعراء العباسيون أساليب شعرية كان مصدرها الاطلاع على ثقافات أجنبية، وخاصة الفلسفة اليونانية التي وسعت مدارك الشعراء، كما أنهم نحا نحو التفنن في المحسنات البديعية والتجديد في الألفاظ.

أما الشعر الأندلسي فظهر في ظروف جديدة لا مثيل لها في المشرق العربي، ظروف اتصلت بالأندلس وتنوعها الطبيعي والثقافي والسكاني ... فجمعت قصائدهم بين الذاتي والطبيعي والمجتمعي بهوية شعرية عربية.

عرف القرن الماضي أكبر تطور عرفه الشعر العربي مع ظهور الشعر الحر الغير ملتزم بنظام القافية الواحدة، فتنوعت القوافي في القصيدة الواحدة،

وتتنوع معها كذلك الموسيقى الشعرية، كما أن هذا النوع لا يعتمد نظام الشطرين بل يقوم على نظام الشطر الواحد الذي يطول أو يقصر حسب اكتمال المعنى وبحسب الإيقاع الموسيقي معتمداً الوحدة الوزنية لكل بيت والتي تقوم على التفعيلة الواحدة.

قصيدة النثر تتميز بإيقاعها الخاص وموسيقاها الداخلية التي تعتمد الألفاظ وتتابعها والصور وتكاملها، الحالة العامة للقصيدة بناء يتميز فيه شاعر عن آخر من حيث الصنعة والتوهج والإيجاز والخيال والرمز والعاطفة...

أما في العصر الحالي فيعيش الشعر ظهور أشكال جديدة وافدة من ثقافات أخرى، وهي تجارب موضوع نقاش وجدال بين الباحثين والمهتمين.

ثانياً: توطئة

قد يتساءل الكثير من القراء عن سبب اختياري للرؤية الذرائعية التحليلية للناقد العراقي عبد الرزاق عودة الغالي، أترك الجواب لصاحب النظرية بنفسه يقول:

(... خرجت بفهم يقرأ أهمية النص الأدبي العربي الإنساني للمجتمع، مقابل النظريات النقدية المادية التي تطفئ على المنظومة الفكرية والأدبية العالمية، وهذا الشيء غاب عن ذهن المتلقي العربي الذي لا يعي معطيات تلك النظريات التي لا تلائم الدين الإسلامي، ويعتبر التفكيك أهم نظرية حديثة تحترم النص المبني على اللوغوس، والذي يجعله غير منسجم مع الرؤية العربية الإسلامية، كون التفكيك قلّة تياراً عرف بـ (ما بعد البنيوية) ، وهو ضد النظرية البنيوية التي استكانت لافتراض التناسق في بنية النص الأدبي بناء على منطق وقوانين لغوية صارمة وحاسمة، لا تقبل النقض أو التغيير أو التعليل، ولا يذكر شيء خارج نطاقها، لذلك نحت النظرية التفكيكية إلى التشكيك بالعلاقة اللغوية ذاتها، وفي منطق أنساقها وقوانينها، إذ لم يعد النص في نظرها يمثل بنية لغوية متسقة لغوياً، تنطوي في داخلها على متناقضات وصراعات وكسور وشروخ وتغيرات عديدة، يجعل من النص قابلاً للتأويلات والتفسيرات التي لا نهاية لها، وليس هناك من نص يستعصي على التفكيك كي تخرج من باطنه ما تخفيه، لذلك تبدأ

النظرية التفكيكية بتكسير السطح اللامع للنص الأدبي كي تبلغ أعماقه والتي لا يباح بها. من ثمة تختلف الرؤية الذرائعية البرغماتيكية، فهي تحترم الظاهر والباطن معاً خصوصاً النصوص القرآنية والكتب المقدسة الأخرى.

الكثير من النقاد والمهتمين لا يعرفون مضمون تلك النظريات وخطورتها على النص الأدبي العميق، فاتباع تلك النظريات يقود نحو الهرطقة وتهديم الشكل الجميل للنص الأدبي العربي، لذلك حاولت الذرائعية تعديل المسار الجائر والتعريف بالنص وماهيته وإقرار أهميته سواء بين القراء أو النقاد. لا بد من الإشارة إلى أن المناهج النقدية الحديثة وما بعد الحداثة كانت اتجاهاتها مادية بحثه حين تعاملت مع الأدب نتاجاً ونقداً، وأهملت النقد الأدبي وما يحمله من قيم وفلسفة، لأنها اعتبرته شكلاً لغوياً، فظلمت الأديب من خلالها، ومعها ماتت الكلمة النقدية على رأس قلم الناقد). من هنا انطلق المنظر والمفكر عبد الرزاق عودة الغالي واطع النظرية الذرائعية المتجهة صوب الخيمة العربية الإسلامية، محترماً الشكل والمضمون، الظاهر والباطن.

ثالثاً: السيرة الذاتية للشاعر

- الشاعر أحمد بياض من مواليد مدينة مكناس
- أستاذ وباحث في مجال التربية والتكوين
- خريج المدرسة العليا للأساتذة
- له مؤلفات عديدة في طريقها للنشر.
- ديوان (مناجم في حوض الشتاء) يقع في 168 صفحة من الحجم المتوسط
- لوحة غلاف الديوان للفنان محمد وجيه

رابعاً- البؤرة الثابتة في النصوص

البؤرة الثابتة المقصود بها الاستاتيكية المؤطرة للنصوص بديناميكية التنصيص، سواء أكانت في الأفكار أو في الأيديولوجيات الإنسانية والبناء النظري الفلسفي... بهذه البؤرة نلمس أيديولوجية الكاتب الأدبية والفكرية ونظرتة اتجاه ذاته ومجتمعه الذي هو جزء مكون للمجتمع العربي الكبير، ونظرتة الحاملة لرسالة إنسانية.

البؤرة الثابتة في نصوص ديوان (ديوان مناجم في حوض الشتاء) رسالة إنسانية شاملة اجتماعية إصلاحية، تنطلق من عمق التجارب الذاتية والتصورات الفكرية الثقافية والسياسية وخاصة الهزات التي عرفها العالم العربي سواء قبل ما سمي الربيع العربي أو بعده. رسالة إنسانية ذات عمق وحس مرهف وشعور فياض راصد للذات الاجتماعية وهزاتها وآلامها المشتركة وأحلامها التي تكسرت على صخرة الواقع العربي المؤلم.

إنّ الفكر يتصرف ويمارس قدراته الواعية في جدلية متناغمة مع الواقع، علاقة بين الفكر والوجود كإنسان ذي فكر يطاوع دعوة الوجود وينشدانه ليقول حقيقته، فالتفكير في الوجود الذاتي هو التهيؤ الموجود للقول والإفصاح عن الذات من اللغة الجامعة لهذه الثنائية المتشابكة الذاتي الموضوعي أي الفاعل والمفعول اللذان يظلان رهيئين بالشعر.

إنّ تاريخ الوجود هو الذي يتحمل كل ظرف وشرط إنساني متمحور حول
رؤية فلسفية وثقافية وتاريخية، وذلك ما سناحقه في مدخل الاحتمالات
المتحركة.

خامساً - الاحتمالات المتحركة في النصوص شكلاً مضموناً

سننطلق في البداية من عنوان الديوان (مناجم في حوض الشتاء)، وبعدها سنغوص في حلقات ومجربات النصوص الداخلية دون إهمال أي رمز أو دلالة.

عنوان الديوان " مناجم في حوض الشتاء " مركب مبتدأ وخبره. المنجم أنفاق تحت الأرض تحتوي على مواد خام من معادن مختلفة وهي من الموارد الطبيعية ينبنى عليها الاقتصاد، اللغة بدورها منجم ومادة خام يقوم عليها اقتصاد الفكر الفردي داخل المجموعة البشرية. ولقد أثرت كلمة مناجم في الأفكار العامة للنصوص وربطت بين حلقات أفكارها، وأماطت اللثام عن سياق العاطفة والأحاسيس. أما الشتاء كفصل فهو الفصل الذي استهوى معظم الشعراء وأصبح مصدر إلهامهم بل استلهموا منه قصائدهم، والمتعارف عليه أن فصل الشتاء فصل الأمطار والسحاب والبرق والرعود والفيضانات... يمكن إعطاء شكل هرم لعنوان الديوان قائم الذات، الزاوية الأولى كلمة (حوض) والزاوية الثانية (شتاء) والزاوية الثالثة (مناجم). من خلال هذه الهرمية سنلاحق قصائد ديوان الشاعر أحمد بياض، وسنربط القصائد بعنوان الديوان من خلال غوصنا وملاحظتنا لمجريات النصوص الداخلية، أي ملاحقة الأفكار المتصلة فيما بينها بالتحليل، وجمع الأفكار

واللهات خلف الدلالات والرموز والأفكار المتعاقبة والمكملة لبعضها،
نسلك طريق صياد اللؤلؤ، كلما غاص عميقاً كان صيده وفيراً.

1 - الزاوية الأولىحوض:

أما الحوض فهو مجمع مائي في منخفض طبيعي من الأرض، محاط بجبال أو
تلال عالية من كل الجهات، وقد يمثل منطقة مناخ فحمية أو معدنية، وهو
كذلك تجويف عظمي في جسم الإنسان يحيط بأسفل البطن، وتطلق الكلمة
كذلك على حوض الأذن وحوض الحمام وحوض السباحة، وحوض أو حياض
الوطن أي حرماته ومقدساته.

يقول الشاعر أحمد بياض في قصيدة (عزلة):

قائم... فالحب

أنا وأنت

بحرثالنا

على خد الميمنة

أنين شمس

وشوقنا الأسير

ميسرة

ريح تناجي ريح

أشواق قبل
لثمت قصر الموت
وما عانق السائرون روحك...
لديك
الماء والخطب

يتسم رمز الحوض الجامع للماء بحضور لافت لمفهوم الماء ضمن مفردات القصائد باعتباره مكوناً طبيعياً يؤثر في وجدان الشاعر، من خلال علاقته الجمالية بالعديد من المكونات والمفاهيم بحسب قصائد الديوان... يتفاوت حضور الدلالة الرمزية للماء في القصائد ضعفاً وقوة أو قلة وكثرة، الماء مكون يسهم أحياناً في عزلة الشاعر، وزيادة المعاناة الذاتية، ويفتح باب التأمل ومغادرة المكان إلى أفق آخر. وتبرز جمالية الماء من حيث كونه بحراً حيناً أو نهراً أو مطراً أو حوضاً حيناً آخر، وما تتصف به البيئات المحيطة من جمال أو قبح... وتأثيرها في نفسية الشاعر المعذبة أو المتألّمة. الماء هو وطن الموت الكامل الذي يكونه البحر اللامتناهي أو النهر الهادر أو الأمطار المنهمرة. وحدة الماء يستطيع تخليص التراب الذي خلق منه الإنسان وإليه يعود.

....

2 – الزاوية الثانية..... شتاء:

تمركز الذات في المتن الشعري بمظاهرها وتحليلاتها المتعددة، والتي أصبح فصل الشتاء مصدر وحي وإلهام، وكأن الغيوم وتساقط الثلوج والأمطار من كبد السماء إيذاناً بانهمار الأفكار والرؤى الشعرية، ولوقع الشتاء سحرها الخاص في نفوس الشعراء بحضوره الجلي في روائع نصوصهم، وإن تفاوتت علاقتهم به من حيث التوجس والأمان والحب والكراهة.

يقول "نزار قباني":

إذا أتى الشتاء
وحركت رياحه ستائري
أحس يا حبيبي
بحاجة إلى البكاء

ويقول "محمد الماغوط":

بيتنا الذي كان يقطن على ضفة النهر
ومن شقة الأصيل والزنبق الأحمر
وتركت طفولتي القصيرة

تذب في الطرقات الخاوية
كسحابة من الورد والغبار
غداً يتساقط الشتاء في قلبي

تنتمي الذات الشاعرة إلى شخصية الشاعر، يسهم فيها الوعي الشعري والرؤية الشعرية على صعيد الفضاء الخارجي والداخلي للنصوص، يسعى الخارج الشعري بتنوعاته المختلفة، فتشتغل الأنا الشاعرة أساساً على فكرة الانتماء وإعلان المسؤولية الكاملة في حالات الذات وأوضاعها المختلفة. يقول الشاعر أحمد بياض في قصيدة (وقع الغيم):

وسيمفونيتي المتهالكة
بما ارتوت من أحلامي
وشهوة الغسق
التي تقضم
أوكار ذهني
فكري
وزهرة حبي
صحارى موجي

وقصائدي العالقة

تحت

وقع الغيم

حضرت سيمفونية تصور ذاتها مرتوية بالأحلام وشهوة ليل دامس يقضم
أوكار الذهن، لكن الأمل والطموح الذاتي حاضر بقوة، بزهرة حب وولادة
قصيدة تحت غيم ينذر بمطر قصائد في شتاء الخير.. شاعر يقدم رؤيا
شعرية لإعادة تشكيل الواقع وخصائص الوجود وظواهر الكون وفق رؤية
إبداعية وجودية الأحاسيس والمشاعر، رؤيا عامة بعيدة عن التفاصيل
والجزئيات.

ومن قصيدة (خلايا غائبة في جسد الكلمة):

يا زائري

هل قرأت ديواني الغائب

بين تابوت الفصول

وواد الحجر

الذات الشاعرة في سكة تعبيرية، تعمل وفق آليات تضمنت التهذيب في صورة جسدية، تأكدت في منظومة الكلام الذي أظهرته عاطفة مشحونة بالانفعال والحيوية.

....

3 - الزاوية الثالثةمناجم :

المناجم هي مصادر استخراج المعادن القيمة من باطن الأرض عادة، وتكون خاماً، تساهم مساهمة في اقتصاد الدول، ويرتبط بها التعدين وهو نشاط إنساني منذ أقدم العصور.

وتختلف المناجم من حيث قربها من سطح الأرض أو التعمق في جوفها، وهذا النوع الأخير تتخذ فيه إجراءات متعددة لحماية العمال . ولقد ارتبط بكلمة مناجم نوع من الإبداع سمي أصحابه بأدباء المناجم، ونخص بالذكر مبدعو مناجم جرادة بالمغرب. لقد حملت العديد من قصائد الديوان أحاسيس وهموم الإنسان المغربي والعربي عموماً، سواء قبل ما يسمى بالربيع العربي أو بعده، على أساس أن الشاعر فاعل في مجتمعه، وتحمل الكثير من حروفه وكلماته المتاعب والتضحيات التي تقتضيها العروبة ومصلحة المجتمع. الإنسان المبدع ليس مجرداً أو معزول الأحاسيس عن مجتمعه، ولا يستطيع الهروب عن الآلام والأحزان الجمعية المشتركة.

يقول إيليا أبو ماضي:

كلوا واشربوا أيها الأغنياء وإن ملاً السكك الجائعون

يقول الشاعر أحمد بياض في قصيدة (أغصان):

شابت

على أعين الموج

فرسان الطبيعة

غبار النقع

فاجعة الأشواق

ليل على الأرجاء سهلاً

والربيع يورق الاحتماء

تقاسم شفاه الزهر

قبلة على صبار الأنين

وبقايا نهار

يعالج سقم الأشعة

وعلى وشم الظلال

ضحايا رخام

على تابوت الصدر.

ويقول الشاعر أحمد بياض في قصيدة (أوردة المنفى وطقوس الريح):

على رماد المدن العارية
تفك السنابل مخالب الريح
في سراب حكاية
يتعثر مهد الأشواق
تشكر الأفواه صيحة الغربة
يرافق شقة الخيام لثام قبلة
على خد الضريح

الرمز في قصائد الديوان يحل محل كل شيء آخر للدلالة عليه بطريقة غير متطابقة، إنها إيجاء ووجود علامات عرضية، وعادة استعمل الرمز بملموس نحو مجرد حامل لدلالات متعددة نفسية وفكرية ومجتمعية وإيديولوجية وفلسفية... الرموز تحمل علامات دالة على المعقول، تدرج ضمن المعقول المدرك المحسوس، وهو بذلك يعكس الشعور ورغبة الشاعر في اختيار الرموز وصناعتها، سنأتي على تبيان كل ذلك من خلال المداخل العلمية التالية:

أ- المدخل البصري والبناء الفني والجمالي:

الديوان المعلنون بـ(مناجم في حوض الشتاء) يحتوي على مائة وعشرين صفحة، تتوزعها ثمان وثلاثين قصيدة نثرية تختلف من حيث الطول

والقصر، وهذه القصائد هي: وقع الغيم - شهاب طقوس على ربح مساء
 راحل - خلايا غائبة عن جسد الكلمة - غربة الأنين - عزلة - أديم -
 سبع زهرات - وشل - فواصل - ضريح ليل عاري - إياب - رماد الشمس
 - عزف على أوتار الليل - همس - ضريح العنفوان - حنين على المعاصم -
 أغصان - أقواس - سبايا الدمع - خريف - غيث آخر - أن.... وتئن
 الحروف - خلخال الفجر - رماد - غربة شاعر - زنجبيل - ربح الصدى
 على أوراق الجفون - أوردة المنفى وطقوس الريح - جدران - سيل الخطى
 على ضريح الليل - على ثوب زهرة في اصفرار الحقول - شفرة انتظار عالق -
 رعشة - غروب - هواء منكسر - زهرة المناسك وحلم صامت - بقايا
 عطر

- التجنيس الأدبي للنص:

إن النصوص الماثلة بين أيدينا هي قصائد نثرية دلنا عليها الشكل البصري
 للنص، وتناسق الألفاظ والسياقات الشعرية...
 كل القصائد ذاتية إنسانية وجدانية تحمل الحس والهجوم الفردية والوطنية
 والعربية، بمسحة فلسفية مالت إلى التأمل تنبع من نظرية الفن للمجتمع
 كما أن الديوان لم يخلُ من علامات الترقيم بكل أنواعها والحاملة لدلالات
 تتعدد بتعدد النصوص والمقاصد.

-درجة العمق والانزياح نحو الخيال والرمز:

إن رمزية الذات في الفلسفة هي إرادة الحياة والعيش والبقاء، ولا تكون أسباب العيش إلا بوجود نفس قادرة على إدراك الخير والشر. يرى بوذا أن الذات تتحقق من خلال قهر اللذة دون ألم، ويرى سقراط أن الذات عبارة عن خليط من قدرات الإنسان وملكاته الشخصية، وإنما ترتبط بقدراته على التحليل وبناء المنطق. أما الذات في الدراسات الحديثة فيمكن تقسيمها إلى ثلاث، الذات الواقعية والذات المثالية والذات الخاصة. أما الفلسفة الإسلامية فحصرت مكونات الذات فيما هو عقلي أو ما هو أخلاقي. لا يمكن للطموح أن يحقق الذات بدون جرعات من الألم والمعاناة... وجد الرمز في الخيال مجاله الخصب وعالمه الواسع الذي يشمل على تصورات تسكن العقل البشري عموماً، أي التفكير في مجالات تكون شرعية ومقبولة في جنس الشعر، وتعد عمقاً أدبياً مقبولاً ومحموداً، وهو مصدر اللذة والتشويق النصي، وذلك ما سنلاحقه في تحليلنا.

يقول الشاعر أحمد بياض في قصيدة (ضريح العنقوان) :

ما اسمك

الذي تردده

الشفة القانطة

من عزوف شوق الكلمة

ما اسمك

إن النصوص الشعرية قصائد وجدانية بامتياز كبير، فلا غرابة أن تميل إلى الخيال والرمز الضارب في عمقها، ونسجل أن النصوص تتجاوز حدود رمزياتها التسعين في المائة، وتتجلى أهمية الخيال، حين يحول الشاعر المألوف اليومي إلى صناعة شعرية، يبت فيها الحركة والحياة... ولخدمة أغراضه الشعرية التجأ الشاعر إلى الأسلوب الخبري والإنشائي، مما أكسب القصائد حيوية وحميمية منعشة، من خلال الأخيلة والصور التي نقلتنا لفضاءات يسرح فيها الخيال، وتحيا بها الطبيعة وتتجسد المجردات، يطوعها الشاعر بين يديه، أداة تأثير علينا ووسيلة إقناع لنا بأفكاره... ولم يغفل الشاعر الزج بعواطفه وأحاسيسه وآرائه، ونظرتة الخاصة إلى ذاته ومجتمعه والعالم.

ب- المدخل اللساني واللغة الشعرية:

حسب علم اللسانيات، تعمل المهارات الميكانيكية الحسية في العقل الإنساني المتلقي للأدب بشكل عام، والشعر بشكل خاص، بأربع مهارات ميكانيكية تعمل على استلام المعلومات المؤثرة بالإحساس حسب نوع اللغة وجنسها، منها الجانب الحسي المرتبط بالدلالة المرسومة من جهاتها

المختلفة لتقرر هوية اللغة الحاضرة. يختلف الأديب عن الإنسان العادي في التعبير طبقاً لمعايير علمية، وقد برع الشاعر أحمد فياض في صياغة مفرداته الوجدانية الرقيقة المدروسة في التعبير عن إرهاصاته الإنسانية بشكل مؤثر، دون أن يحس، حتماً اكتسب ذلك من موهبته الأدبية المسورة بسور الخبرة في كتابة الشعر المكثفة، والمتلاحقة والقراءات المستمرة، لذلك جاءت جملة بشكلٍ مدروسٍ، بأنظمة تكوينية قصيرة مغناة بمفردات متنافرة ومتماثلة من خيالية كاملة، أو إخبارية كاملة. كل الألفاظ التي وردت في قصائد الديوان فصيحة من قاموسه اللفظي الغزير بعيدة عن الابتذال، حتى حين يبلغ قصائده أحياناً قمة الغضب، لم يستعمل ألفاظاً دونية، فبقي محافظاً على اللباقة الأدبية الشعرية.

لقد انفرد الشاعر بصناعة المفردات والجميل بشكل يختلف عن القول العادي أو ما نقرؤه لمعاصريه في نفس التجربة الشعرية، وهذا التفرد صار واضحاً في كل القصائد المشكلة برمزية غاية في الصنعة.

-الموسيقى الشعرية:

أما الإيقاع الموسيقي الشعري عند الشاعر أحمد فياض في قصائد الديوان فتتميز بالانسيابية والتنوع، جمل موسيقية معبرة، تتخلل جمل النص، وتنتقل أحياناً بين ترانيم ترتكز على أصوات متعددة متناغمة، ونهاية الترنيمات الموسيقية المتقاربة والمتباعدة تتغير من قصيدة إلى أخرى سعيًا

وراء المعنى، تزاوج بين المفردات تحمل صوتاً مسموعاً مع الموسيقى، وكأن الشاعر يعزف للكلمات وهي تتراقص بين أسوار الجمل.

ومن خلال قراءتنا الديوان لاحظنا بسهولة إن القصائد تنتظم في غالب الأمر في جمل قصيرة أولاها الشاعر عناية خاصة وفائقة. نغم خفي تحسه النفس عند القراءة أو الإلقاء، نغم يشعرنا أحياناً بالحزن والكآبة، وآخر بالحماس... اختار الشاعر كلمات بعيدة عن التنافر وسهلة إخراج حروفها الموزعة بين الهمسية والصفيرية والقوية المسموعة... ونقدم مثلاً من الموسيقى الشعرية في قصائد ديوان (مناجم في حوض الشتاء) من قصيدة (رماد الشمس):

تنتشر الخيام
جسور الصبر
مرآة أرض خالدة
وراء الضباب
قطر المدى
على خد الورد
ورعشة الجسد

نلاحظ مقدرة الشاعر على التلاعب بالشكل والمضمون والمعنى والموسيقى، بمضمون محبوك مغلق ببداية ونهاية، فيجعل معنى الكلمات مدوراً بالمعنى يسرق الحس والوعي، ويجعل المتلقي يحس كيف سخر الشاعر الموسيقى لخدمة المضمون العام للقصائد..

- الصور البلاغية والإنسانية في النصوص الشعرية:

ترخر نصوص الشاعر أحمد بياض بجمالية التعبير والصور النصية، فقد استطاع الشاعر بموهبته وخبرته الشعرية رسم أجمل الصور بالكلمات والتعابير، حيث استطاع أن يخلط ببراعة بين الكلمات والألوان والألوان والأنغام معاً، استخدم علم الجمال والبلاغة وعلم البيان والبدیع في بوتقة وواحدة ووظف الطباق والجناس والتشخيص والتشابه والاختلاف والقياس وعناصر بلاغية أخرى، بخبرة ومهارة وحرفنة واتزان، لذلك حين نقرأ لهذا الشاعر، وجدنا أنفسنا وجدنا نفسنا كأننا نسمع نغماً ملوناً مرسوماً بأبعاد مختلفة مرسومة بلون فرشاة، مدروسة فنياً وأديباً، وتلك سمة واضحة وإستراتيجية واضحة في كل القصائد، والسبب يعود إلى الاهتمام الكبير بالصناعة الشعرية وجمالها، باهتمام منقطع النظير، لذلك يحس القارئ بحلاوة النصوص وتأثيرها المباشر والمحرك للحس والوجدان . يقول الشاعر في قصيدة (عل ثوب زهرة في اصفرار العقول) :

وأصنع من الزجاج يتم يدي
وأشاطر الحفاة نرد الغبار...
معطف غجري على جسدي
تنهيدة شتاء
حين تورق على الحجر صلاة الغائب
وعلى مرآة الأرغفة
ما تبقى من شبح الهياكل

- الصور الشعرية:

الصور الشعرية في شعر الرمز والخيال يمكن تقسيمها إلى ثلاث مستويات:

المستوى الحسي المباشر: يتم فيه تصوير الأشياء كما هي بعيدة عن الابتذال، ونأخذ كمثال نموذج من قصيدة (حنين على المعاصم) من ديوان (مناجم في حوض الشتاء):

هل ستعود ليلى
على أقراص الليل
فتحنني القطاف

برعشة الجسد
ليستحم الفراغ
في وهج الطفولة

حضور دلالة العنصر الحسي في الصورة الفنية متوزعة بين قصائد الديوان، بين صور بصرية وذوقية وشمية وسمعية. إن الصورة المستمدة من عمل الحواس تجسد رؤية رمزية تستمد فعاليتها من التداعي السيכולوجي، وتكرار الكثير من الصور في الديوان مثلها مثل اللوازم النغمية، ووسيلة من وسائل البناء الجمالي الحامل للكثير من الدلالات في القصائد. إن الجانب الحسي التي تقدمه الرؤية البصرية هو أبسط هذه الدلالات وأقربها إلى ذهن المتلقي وتساعد على تذوق البناء الجمالي الفني.

المستوى الاستعاري: أي التفاعل مع الواقع الخارجي تفاعلاً مجازياً، ونأخذ نموذجاً من قصيدة (عزف على أوتار الليل) :

في الحانات المكسوة بالتراب
شفتي الريح
لشمة حارقة

تأثية

في ضباب الذاكرة
الليل يطفو على سطح البحر
كسير محيا نجمة
لم تعانق الضوء

يتضمن الديوان تعابير وأساليب بلغة رمزية غير حقيقية تقريرية مباشرة، تتضمن استعارات ومجاز وكناية وأساليب بلاغية معروفة... صور شعرية خيالية عبر عنها الشاعر بواسطة انفعالات، سواء كانت تلك الصور تشبيهاً أو مجازاً أو استعارة... بكلمات رمزية فنية متماسكة، تنم على تجربة شعرية تستخدم طاقة اللغة وإمكانياتها في الدلالة والتركيب والإيقاع... المستوى الرمزي: أي التعبير بمنطق يتخطى حدود الحدس والعقل كلها في إدراك الوعي لها ونأخذ مثلاً من قصيدة (رماد الشمس):

آذار صوت الشمس
ولغة النحيب
صوت وراء الأسوار
معلقات طفولة

خط تراب
نشيد يبحث عن لغة
وينحت في الجسد
رحم الكلمة
لا أرض لك .

لقد وظف الشاعر الصورة الشعرية في نصوصه الشعرية بتكثيف تفصيلي مانحاً إياها حركة الإحساس بعاطفة ازدحمت فيها الصيغ لتدخل التشكيل الشعري، والصورة الشعرية في هذا المستوى من أصعب مفتاح النصوص الشعرية، نظراً لاختلافها وتنوعها وعمقها المرتبط بقوة الشاعر وعمق تجربته الشعرية. وتوضح أن أسلوب الشاعر في هذا النوع يرتبط بأسلوب التجديد والابتكار. وحضرت صورة الشاعر لذاته في صور مشكلة بالدهشة والمفاجأة والحلم.

ج- الثيمة أو الموضوع ومقاييس الدقة في الإبداع الشعري:
المقصود بها الرسالة الإنسانية التي يضمنها الشاعر لنصوصه الشعرية، بين الحروف والكلمات، أي من خلال استعراض الأفكار الجزئية التي تترابط فيما بينها مكونة فكرة كلية. الشعر الذي يخلو من الرسالة الإنسانية أو فكرة كلية هو شعر ينزل إلى دون المستوى المطلوب. إن الشعر لا تقتصر

القيمة على المعنى التعليمي، بل تتعداها إلى قوة التأثير في النفس الإنسانية، وتلك هي غاية الأدب الهامة ..

-مقاييس نقد المعنى:

1 - مقياس الصحة والخطأ

التزم الشاعر بالحقائق كلها سواء كانت ذاتية أو مجتمعية أو تاريخية أو لغوية أو علمية لأن الخطأ يضر بالحقيقة الشعرية ويفسد الشعر، ويخرجه من حيز الثقة والمقبولية عمده المتلقي. لقد توخى الشاعر أحمد بياض هذه الحقيقة بحذرٍ شديدٍ، وهذا يعود إلى ثقافته العالية. لم نسجل على قصائد الديوان خروجها عن الحقائق الذاتية والمجتمعية الموضوعية وآلام الإنسان العربي سواء قبل ما سمي الربيع العربي أو بعده.

2 - مقياس الجودة والابتكار:

ليس مطلوباً من الشاعر أن يقدم معاني شعرية جديدة، لم يسبقه لها أحد من سابقيه، فهذا طبعاً شبه مستحيل، لكن المطلوب أن تكون للمعاني الشعرية مكانة نقدية متميزة، أن تتصف بالجدة والابتكار.

لقد قدم الشاعر معان في غاية الأهمية بأسلوب فيه طموح الخلق والابتكار وخاصة على مستوى الصورة الشعرية والرمز والخيال .

3 - مقياس العمق والسطحية:

المعنى العميق هو المعنى الذي يذهب بالمتلقي بعيداً، بدلالات رمزية ومعنوية عالية التأثير، تستدعي إلى ذهن المتلقي معاني وخواطر كثيرة، تثيرها الرموز والدلالات السيميائية التي يستشفها الناقد من خلال المخبوءات في النصوص الشعرية. المعنى العميق يعكس موهبة الشاعر وتميزه، وقدراته العقلية والذهنية وثقافته العالية، تكون النصوص عميقة إذا اعتمدت التأمل الفلسفي الموشح بالحكمة التي تختزل بقدر كبير التجربة الإنسانية، وتقديمها في عبارة موجزة .

- مقاييس نقد العاطفة:

المقصود بالعاطفة الحالة الوجدانية التي تدفع الإنسان إلى الميل للشيء أو الابتعاد عنه، وما يتبع ذلك من حب أو كره، وسرور وحزن، أو رضى أو غضب، ومن أبرز مقاييس نقد العاطفة ما يلي :

1 - مقياس الصدق الكذب

الدوافع التي دفعت الشاعر لكتابة نصوصه، دوافع حقيقية، وليست زائفة، تؤكد صدق العاطفة... الدوافع كلها حقيقية وتتجلى في تتبع كل قصائد الديوان المشكل عاطفة من هموم ذاتية من عمق واقعها المجتمعي المغربي والعربي، وخاصة جروح الأمة العربية من المحيط إلى الخليج بعد النكسة العربية، وتعاظمت المأساة بعد وقبيل ما يسمى بالربيع العربي، لوضع تاريخي حرج تمر منه معظم البلدان سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي... وويلات التطرف والحروب الدامية..

2 - مقياس القوة والضعف

المقصود بها مدى تأثير النصوص الشعرية في نفس القارئ، فإن هزت وجدانه كانت عاطفتها قوية، هذا المقياس يتأثر طبعاً بأمزجة الناس وطباعهم، فمن الناس من يحب الشعر الثوري، ومنهم من يعشق شعر الغزل، ومنهم من يعشق شعر وصف الطبيعة... أما قصائد الديوان فلا بد أن القارئ سيجد ضالته في قصيدة تسكن وجدانه، وتثير في عقله أسئلة فكرية ووجدانية وفلسفية عميقة...

- التجربة الإبداعية في نصوص الديوان الشعرية:

إن الانفعالات والعواطف التي اعتملت في صدر الشاعر عند إنتاج القصائد، نقلت لنا جدية وعمق وصدق ووضوح الرؤية الشعرية عند أحمد بياض، وليس المطلوب من الشاعر أن يضيف جديداً لم يسبقه له أحد، ولكن أن يوقع تجربته الشعرية في إطار جامع للرواد القدوة في التجربة

لقد وردت في الديوان قصيدة إهداء للشاعر الكبير أحمد المجاطي، يقول أحمد بياض في قصيدة (جدار) :

أمام رحاب الفناء
المعكوس على السمرة ،
وهاد عينيك
حين تهوي الأدراج
فقي النجوم
كم شعاع لديك على سماء الشتات ؟

يعتبر أحمد المجاطي من المؤسسين لحركة الحداثة الشعرية بالمغرب. حركة تتجاوز الصور البيانية المرتبطة بالذاكرة التراثية عند الشعراء الإحيائيين،

والتجارب الذاتية عند الرومانسيين، إلى صور تقوم على ترسيخ مدلولات الكلمات من خلال الرموز والأساطير وتوظيف الصورة/ الرؤيا وتجاوز الرموز التقريرية المباشرة إلى لغة الإيحاء... وجاء في قصيدة الشاعر أحمد بياض (أغصان) :

شابت
على أعين الموج
فرسان الطبيعة
غبار النقع
فاجعة الأشواق ...
ليل على الأرجاء سهلا
والربيع يورق الاحتماء .

د-المدخل العقلاني:

نقصد بها تجربة الأديب المكتسبة من الاتجاهات الأدبية والفكرية من قراءاته وثقافته السابقة المتوازية، والتي أثرت على إنتاجه الأدبي المتوازي أو التناص مع أدباء آخرين، ويضاف كذلك إرهاصاته الإنسانية كفرد في بنية فكرية وثقافية.

التناس عملية وراثية للنصوص أو النص المتناس، ويكاد يحمل بعض صفات الأصول، والتناس أنواع عديدة نذكر منها، تداخل النصوص والنص الواحد، والنص الغائب، والنص المهاجر، والنص المتضافر، ونص الحالة المزاجية العاطفية... وقد عرفت نصوص الديوان تداخلاً مع نصوص متناصة من جانب الرمز بدرجات تختلف من قصيدة إلى أخرى، بشكل ديناميكي متحرك ومتفاعل مع تيمات نصية مختلفة مرتبطة بالتغيرات والمستجدات التي عرفها تطور الشعر العربي والتي تطرح تساؤلات عديدة تهدف إلى خلق واقع من التطلعات.

التناس هو قراءة استرجاعية تبدأ فاعليتها بقراءة النص، ثم ترتد عنه إلى روافد سابقة عليه، سواء كانت قديمة أو حديثة تكاد تجاور زمن النص الحاضر، على أن يكون الوعي في تلازم القراءة المرجعية مع القراءة التأويلية التي تلاحق المفردات والمركبات وللنص في شموليتها. ونأخذ من قصائد الديوان نموذجاً من قصائد الديوان على التناس الميت يقول الشاعر أحمد فياض في قصيدة (فواصل):

وحدك

تمشي

في تعب الريح

وحدك
تمشي
في انصهار الطريق
وحدك
والآتي غريق

وقال أبو الطيب المتنبي :

أنا الغريق ما خوفي من البلل
به الذي بي وما بي غير منتقل

الشعر وعاء وإناء العقلانية والخلق والتواضع والمثل العليا، يمتاز بالتوازي مع خبرات الآخرين لمواكبة الرقي والارتقاء والاعتناء، تحت خصوصيات فكرية وفلسفية وأيديولوجية وتجارب إنسانية وأدبية متوازية تكون بوابتها التناص بكل أنواعه وتجلياته .

هـ-المدخل السلوكي

الأدب سلوك وتساؤلات إنسانية فكرية، فنجد التساؤلات التي طرحها الشاعر أحمد فياض في نصوص ديوانه فلسفية وجدلية واجتماعية وذاتية، وإجاباتها التي ترصدناها في نصوص الديوان، إجابات مطبوعة بالوضع والبيئة الشعرية الاجتماعية والأدبية والفلسفية التي أثّرت في النصوص. رد فعل بين الشاعر والمظاهر المجتمعية والإنسانية والذاتية وكل السائد في المحيط المجتمعي. لقد شكل الرمز قنطرة عبور لكل التساؤلات المشروعة.

يقول الشاعر:

هل ماتت اللغة
في صحوة الزفير
أم انتحرت الأشواق
في تلال النشيد
هل شيدت بابل
ليلاً
من معدن الأشواق
ويقول أحمد بياض في قصيدة (خريف)

هل كانت تمشي
على ريش البحر
هل كانت تؤدي
تلك المناسك
في رعدة الخريف
هل كانت تنظر
إلى مرآة
عرسها اليتيم...

و- المنظور الاستنباطي التقمصي

ونعني به نقدياً مجموعة العبر والحكم والدلالات الإنسانية التي نستشفها من نصوص الديوان وأركانها التعبيرية، لقد وظف الشاعر مقدرته الفكرية والأدبية والعقلانية في إنتاج نصوص تدخل المتلقي في تقمص وجداني، فالإنسان يلاحظ سلوكه المادي المباشر، ويربط سلوكه بإيماءات رمزية سيكولوجية، من خلال مشاعره وعواطفه، فيصبح لسلوكه الإنساني معنى يصب في معنى الذات، فيتصل بالآخرين ويلحق سلوكهم المادي، وعلى أساس تفسيراته السلوكية السابقة لسلوكه.

ويمكن القول أن الإنسان له المقدرة على فهم نفسه عن طريق تحليل سلوكه الذاتي، وإمكانه كذلك الخروج باستنتاجات عن سلوكيات الآخرين،

تقوم على أساس التقمص الوجداني، ولقد عشنا مع الشاعر في كل قصائده
 نفس الحالة النفسية الوجدانية وخاصة حين تميل هذه القصائد لمكافحة
 التهميش والظلم والطغيان والحروب الغبية المتاجرة بالدين، وسيادة الجهل
 والامية واستفحال الفساد والخوف الذي تعيشه العقول والقسوة التي
 سكنت القلوب والعزلة التي أصبح يعيشها المثقف العربي.... ومن قصائد
 أحمد بياض نذكر قصيدة (أنوتئن الحروف):

أن أقرأ
 لك آخر حلми
 أن أمشي
 ترفضني الطريق....
 أن أسأل الليل
 والقمر
 عن فستان آخر نجمة
 كانت محلقة

سادساً - الخلفية الأخلاقية للنصوص

المتعارف عليه أن النصوص الأدبية الرصينة برمتها تبنى على شكل متكامل، يساهم في تثبيت القوائم الأخلاقية في المجتمع، وذلك واجب الأدب الرصين الملتزم بالقيم والأخلاق المثلى المجتمعية والإنسانية العليا. لقد التزم الشاعر في كل نصوص الديوان بالأخلاق والمثل العليا ولم يتعرض لها بسوء، ولم نسجل أي تجاوز أو فكر هدام يمكنه أن يخترق بنية الأعراف والتقاليد والقوانين والأخلاق البانية لواقعنا المغربي والعربي بكل أطيافه. أو ينشر العداء والتفرقة بين الناس. والشاعر في ديوانه ملتزم بفطرة وفكر العقيدة، محترم لكل الأعراف الأخلاقية.

سابعاً - التحليل الرقمي الساند:

بعد أن أنهيت تحليل الديوان عبر مباحث ثلاث، أسند تحليلي إلى جدار نقدي علمي قوي، أولاً أختبر هذا التحليل بجمع جميع الدلالات المتعلقة بالرمز والخيال في ديوان (مناجم في حوض الشتاء).

الدلالات الطبيعية الرمزية.....223 دلالة

الدلالات الحسية الإيجابية الرمزية.....183 دلالة

الدلالات الحسية السلبية الرمزية104 دلالة

الدلالات / الذات الرمزية173 دلالة

الدلالات الوجودية الرمزية114 دلالة

الدلالات الرمزية / الشتاء.....156 دلالة

مجموع الدلالات الرمزية953 دلالة

ما نسجله أن الشاعر مال بدرجة كبيرة نحو الرمز والخيال الوجداني، والميل كذلك للعمق التأملي الفلسفي الفكري والأيدولوجي المرتبط بهوم الذات والوطن والعروبة.

ثامناً – خاتمة:

أنهي دراستي الذرائعية لديوان (مناجم في حوض الشتاء) مقتنعاً أن الديوان يستحق الاستفاضة أكثر، لكن الكمال لرب العزة، ونحن إلا بعض خلقه وما أوتينا من العلم إلا القليل... نستنتج مما سلف أن الأديب لا يكتب شيئاً وينشره من فراغ، وإنما يمر بمراحل تجديدية كثيرة، فالأديب الرصين هو دوماً ساعٍ إلى التجديد، ولا يرضى عما يكتبه أبداً، فتراه ينقد كل كلمة يكتبها، ويبدلها في كل قراءة، حتى يستقر النص بعد أيام أو أشهر، فلا نتصور أديباً ينشر مجموعة شعرية بشكل عجول جزافاً، وقد عمد النقاد المعتدلين والذين لهم انحياز للتجديد واحترام الأدب والأديب كجزء من التراث الإنساني، لا يمكن تجاهله أو التعرض له بأي شكل من الأشكال، ولقد كان سبيلنا لهذا منهجنا الذرائعي الحامل لأغراض سامية، وهذا المنهج يتبع ويهتم بتجزئة النص إلى فقرات، وفصل كل مكوناته الفكرية واللغوية، ومن ثم إرجاعها إلى أسبابها وملاساتها بشكل حذر ودقيق، في ضوء السياق التي وردت فيه النصوص، مع مراعاة عدم الخروج عن إطارها العام، والناقد ينتقل في تحليله من المركب إلى البسيط ومن الجزئي إلى الكلي

دراسة ذرائعية إعداد الناقد الذرائعي

عبد الرحمن الصوفي / المغرب

وقع الغيم

الألفاظ تتراقص

تهيم

تنفض

العبارات

في شوق أخرس

تنشر بذوراً

من رحم الكلمة

ولا تستقيم

...

ينتهي في حضن الليل

بعد المنى

والقدر عالق

أسكرته روح التمني

وشاطئ الزورق حزين

...

في الربى
أنين
عزف ناي الحياة
والوقت هجين

...

يا صاحبي
ما تبقى من فنجاني
عصير ثمرة
ماتت في أحضاني
والرحى
لا تلين
تجرعها
في غربتي
ستتلو عليك
أمنيتي
ملوحة شوقي
ذكرياتي
لهيب الشعر في
وشطايا الرحيل

وسيمفونيقي المتهاكمة
بما ارتوت من أحلامي
وشهوة الغسق
التي تقضم
أوكار ذهني
فكري
وزهرة جي
صحاري موجي
وقصائدي العالقة
تحت
وقع الغيم

شهاب طقوس على ربح مساء راحل

تغرس تلال الشمس
هي التي في حنطة الوداع
تكتب دموع الخطى
على نهر الجفاف
تبحث عن إله
لأسطورة ملحمة القيظ
والرياح يعانق ثديها.....
كم تاريخ لديك
في رعشة الفواصل
والصوت المذبوح
على ريشة الدم
الشمس على حجر السماء
تلفظ أنفاساً أخرى
من يكتب رهينة اغتصاب الملوك

وأبراج المدينة
تحضن الأمسيات الحزينة
تحت غرور الإقطاع.....
من يدعوني
يوماً
على فرشة الحجر
لكي يستقبلني الغيم
وأتلو تلاوة الجزر المحنطة
الغابرة في حضن الضوء
وأكتب موتي
على راحة هلال يتسكع في السماء
بريشة غابرة
في بحور غيمها
معلقات تابوت النجوم
ليصحو الجوري من ريح الفراغ
على أرض يتيمة
ومزارع الفقراء
وطقوس الغرباء.....

هي شهاب متطفلة
في روح عينيك
تنفجر دموعها الوديعة
على سواقي نهر
ضفافه أصداف
رحلت عن جزيرة
لتبحر في ملهاة الحقول
نداء ليل
حين تغفو السماوات من حلم الأرض
حوضٌ مارقٌ
تشدو لوعتي
في انحلال الأشرعة
ريح الصبا
بواكير دجلة
في سيل الأنهار
تشرق الرعود
على لهاث الفيض
من لذة السكون
وصحوة الصمت

أسطورة تائهة
في البیداء
أقتني شوقها
حين يعطر الحنين ثوب الأرض

خلايا غائبة عن جسد الكلمة

وأملك تسبك الورد
تبحث عن إفتها
في حديقة
على صفرة الرياحين
تجلس القرفصاء
وفي عينيها
يفيض الزمان
سنوات عجاف
على تابوت الرمل
بجور من الرؤى
على فطرية الدمع
وقارورة الحنين
يا زائري
هل قرأت ديواني الغائب
بين تابوت الفصول
وواد الحجر

متى بدأنا
نحلم
حلم المشاعر
ماتت أيتام الجفون
وارتشفنا فنجان الضجر
فالموت قابل
للاستهلاك
حين يأوي
حلمنا البعيد
حين تنفطر
نجمة
في سعال الجسد
حين نريد
أن نكون
ولو مرة
على إكسسوار الحياة
تشتهيني عارياً
كموت النجم
وفي عُرِّي

أرى القمر...
المصون في دمك
أرى الأشياء كلّها
في بحر شوقي
أرى الشعر
يحمل طقوسه
العجربة
أرى ثوب الكلمة
على خمار السراب
وأموت مرتين
في كهف اللغة
أموت.....

غربة الأنين

استريح قليلاً
لنعالج محنة الأسفار
لا زال لدينا شوًط
ينجلي من الكسوف
من خمرة الوادي
في كروم عينيك
لا زال لدينا
بريق نجمة
في سعال الغيوم
لا زال لدينا
وقتٌ ضريبٌ
يبحث عن منفاه.....
لأراك
وثوبك
يحمل سواد عينيك
لأراك

على نحيب وردة
ولظى وجنتيك
تحمل طقوس فرحة
حين زارنا نشيد الحب
لحظة
استريحي قليلاً
لنعالج محنة الأسفار
سنكتب موتنا
على غسيل الرمل
ونعيد روح الذاكرة
على زمهرير الغبار
استريحي قليلاً
من غربة الأنفاس
على سواحل الدمى
وعرائس الخطب
استريحي قليلاً
من كلمات التعب
غربة الأنين

عزلة

لَا تَمُرِينَ بِي
فَالْجَبَّ قَاتِمٌ.....
أَنَا وَأَنْتِ
ثَالِثُنَا بَحْرُ
عَلَى حَدِّ الْمِيْمَةِ
أَنْيُنُ شَمْسٍ
وَشَوْقُنَا الْأَسِيرِ
مَيْسِرَةٍ
رِيحُ تَنَاجِي رِيحٍ
أَشْوَاقُ قُبَلٍ
لَثَمَتْ قَصْرَ الْمَوْتِ
وَمَا عَانَقَ السَّائِرُونَ رُوحَكَ....
لَدَيْكَ
الْمَاءُ وَالْحَطَبُ
وَنَخِيلُ الذَّاكِرَةِ
وَلَيْلٌ عَلَى هَوَاءِ الشَّمْسِ.....

وعطر غبار المشاة
مُتَ لَحْظَةً
لا يستوي فيها الماء
وارتشف من سُلالة القَيْظِ
أجبر الأنفاس الأخيرة
وعلى خَدِّكَ التَّائِي
حُزْنُ العُشْبِ والحِيلِ والنخيل
والشَّجَرِ.....

أديم

كفَّاكَ حزنًا
من أعاصير الممالك
وأنا الآتي إليك
بجرحي القديم
وزهراء الليل
المشطورة
من حوض الفراق
على مقلتيك
شوق رهين
بحر لفينيقي منعزل
يكسّر كهل الظلام
ويبحر
في ترياق الوجود
مواسم عشق
غبار أمس

على خدك الوارف الظلال
بين المدّ والجزر
رغوة الحنين في صباها
مشقة الحروف
حين تعانق الوصال
تمتد الليالي العوانس
في غريق الوجود
تقتل بريق اللحن
سأطيل البقاء
على صدرك المشلول
وأنا ملي في رعشتها المتمزقة
تفكّ أوزار القيود
ومدام عينيك
الباقى
على صدى الحديد
اعتراف المجهول فيك
حين تتسع الشيطان

ويحمل البحر ثوبك الأزرق
إكسير هواك
في الخلاء المبحوح
بصوت التراب

سبع زهرات

وعجائز النهر
يقطفن الموال
يكسو اللحن
غريزة الدموع....
يتسع صوت الليل
في عُري الجبال الشامخة.....
والواشحات على صنبور المساء
في رحلة الماء
صوت يشق الفصول.....
طفل البحر الباكي
لم تعد أمه
وعلى أنفاسه أشواق قيثاره
أوتارها تداعب شذى الريح
والوقت حاملٌ دميته
لصبية الزوارق
لكي لا تنام الأشرعة.....

يوم مات
يوم يموت
ويوم سيموت
ويوم سيأتي
يجتاح برقيات الوصول
كف يحمل تجاعيد الدم
يمتص عرق الليل.....
سبع زهرات
تطلّ
تحطم المرأة المعتمدة
في الأزقة الفارغة
وتنبّه الوجود
إلى مسامير الكلفة
ومحنة السغب
وريق الشتاء
وعين لا يغمضها الكرى
وشاعر
نديم فرسان الحروف

وشل

تكتبين على ريق الظمأ
والهك يعبت بمدن البحر
فمن أولى بك
سحر الختام
أم وادي
يدثر أسمال الانفراد
أم نقش
وثني على الحجر
أم أبدية عشيق
زرعت بداية الانفصال

...

على مدن التراب
كفي
وأنا ملي
ناقوس حبر
بين الملهاة

وسحابة الدخلاء
بين طقس
طغي عليه حنين الفصول
وضحايا
وليمة البحر
بين الشك واليقين
نزرع خاتم الخنوع
نبحث في طي الوجود
في سماء الرحيل
عن وردة منسية
في بتول الأرض.....
ننحت تمثال الموت
لرضيع البقاء
وعرس نبيل
يسقي ثمالة الأرواح

فواصل

1

يلوّن الرماد
جثة النخيل
حكايات تقصّها الشتاء
بصوت البحر
جزر المرأة
تعانق شهوة الموت
ينفصل جسدك المذبوح
بعرق الرمل
تمشي
المخيلة فيك
تمشي
على صدر الخريف
شمس باهتة
من ليالي الدخان
وغزو الأرق

تنمحي
وهاد
المعلقات
بحر لك
دثر اللغة
بمعصم الحرف
وامش
عانق قربان الضوء
وحدك تمشي
في تعب الريح
وحدك تمشي
في انصهار الطريق
وحدك
والآتي غريقك

....

2

ويكتبنا الليل
في روضة الأسماء
ويحمل الآخرون أرضنا... حلمنا
ونصلي
لأيتام الحجارة حولنا
ونشيّد قصراً لنسيم الخلاء... وحدثنا
ويحملنا النشيد
على ناصية الحرف
لغة المأساة
على صراط المعاجم
ونمشي
حاملين كفن الغربية
وغياب السبيل
ونمشي.....
....

3

لنمش
برفقة معدن الجوع
وشفرة الظلام
لنمش
مدننا هياكلنا
نرتدي حجاب الموت
وجسد الذكرى

.....

4

تجرعيني قليلاً
وانتحي
تجرعيني قليلاً
واصمتي
وفي صمتك
آيات أخرى
على كتاب الجرح

وفي آخر محطة
اسكبي
من منديل الشوق رثائي
تجرعيني قليلاً
وأبحري في وداعي
وانتشلي صحرائي
سيطل طيفي
من لقمة الفراغ
ليوقظ شموع الذاكرة
على وجنتيك الراقدة
وتكتبين في حلمك وصالي

ضريحُ ليلٍ عارٍ

وهي ترنو
ليلاً
شبحاً عارياً
من أقمصّة التمويه
أبحث عن جني المطر
في عينيها
ودمية الرعد
أبحث في ظلها
عن حزن الشوارع
والشمس المعقوفة
على الجسد
ونبيذ الدبال
وعرق الوصول
جسدي مدينة
ووراءها
بحر

تعرفني الأزقة
والنوافذ المنكسرة
على شرفة طفلة
تعرفني
الشوارع الآسنة
في زوبعة الضوء
صوتي أسير الكلام
يعشق
الفنجان المتصوف
في لهيب الحلقة
ووميض الاحتراق
وهي ترنو
لتخطف مشعل الموت
وأثقام معها
الجسد المرهون
تحت غشاوة الخريف

إياب

ساعة الصباح
رموش عالقة
في جبل الحلم
تعيد الأشياء الغامضة
في رعشة الليل
زرقاة الألفة
على ضريح الظلام
فنجاني ينتظر لباس قهوة
ولفافة السجائر تحن إلى الشفتين الفارغة
طاووس حلم ينبلع
من رماد زقاق الليل
ثمالة الحروف
أئين السهاد
لغة بلون الغمام
انتظريني حتى أصحو
فمخيلتي عارية

إلا من الجمود
من النافذة روح الثلج
تكسو الوميض المعلق في الهواء
صغيراً عالٍ
يغتصب ما تبقى
من غيبوبة حلمي
سأغتيال
الشيطان لأمتطي البحر
في زلال عينيك
غريقي
أقري
حوض المساء
على فنجان دموع الشمس
وتعالي
لا تقولي متأسفة
فصوتك يغتاله الصمت
لا تقولي شيئاً
فالكلمة
ستبحث عن الكلمة

حين تتشابك روح المغيب
حين تتنفس التلال ضباب الأيام
حين أصحو على جسد الذاكرة
وأرى عينيك

رماد الشمس

آذار صوت الشمس
ولغة النحيب
صوت وراء الأسوار
معلقات طفولة
خط التراب
نشيءٌ يبحث عن لغة
وينحت في الجسد
رحم الكلمة
لا وطن لك
على غريزة الأرض
لا أرض لك
على الأجنحة العارية
في فضاءٍ غائبٍ
لا وجود لك
في عراءِ الأشياء
أنت الغائب

وراء الأشعة المكسورة
تبحث عن عين القمر
وسحابة.....

عن نشيد طفولة
بصحوة الشتاء
ودموع الابتسامة.....

تنشر الخيام
جسور الصبر
مرآة أرض خالدة
وراء الضباب
قطر المدى
على خد الورد
ورعشة الجسد.....

تستحم في حوض غريزة الحنين
بحرٍ من الأشياء المبهمة
كسوة الجوع
وأرق الدموع
والهواء المنفصل
عن ريح الوجود

شط
على هلال المنسي
نافذة في العراء
أجراس يتيمة
تبحث عن شروق رنين
أمُّ تبحث عن جسد طفلها
ثديّ كفيف
يُرضع خديج الأرض
يستحم النشيد
في سنبلة الأشواق
يعانق جحود التمني
يلثم البكاء ضريح الأمل
تمشي البحور المنتشية
في غرفة المتاهة
ومدن من مهد عيسى
على شراع زورق
ألفت الرحيل....
شتاتٌ يحمل حلم الشمس
ويختبر الموت

الأشواق الهائمة
في لغز أطرش
وضيعة البكاء
أيها النشيد
كم لنا من إكيل
في حديقة الوقت
كم لنا من آساع
لنصب فضاء الكلمة

عزف على أوتار الليل

على خمرة الماء
وريح المعاصم
في غزوة التراب
الليل يسري
في عراه
يبحث المشاة
عن القناديل
تتاكل الحكايات
ويكتب الأمس مداه
وزفير الرماد
على الأيام المعتصمة
في الخطام
على هزيع الوجود المتفائل
يصب الصبي
حلماً بلون الأرزقة
وطعم الأكواخ

كنبيّ مغسولٍ من الإثم
تستأنف الجدة الدعاء
على أبواب الرمل
والحزن في طور البلوغ
يحمل حلم الأيام اليأس
كم من مصلوب
قبل الجرح
في موسم الأعناق الشاهقة
يكسو الرماد
ضيعة الشمس
ويومض أنين القمر
صوت ساذج من بحيرة الأشواق
يدثر لحن الكسوف
ويفيض السؤال
على أروقة النبض
هل حملت بابل حلم الاسم
وعلى المرأة
أبراج المدينة
مسجد لا يرى

بين الآكام
يكتب الإملاق
صيحة الطوفان
يلثم الشوق التبني
على خذ نجمة الخريف
لننعي السنابل
غريمة الأرض الغريبة
آخر عزفٍ للأوتار
على هودج الرياح
الليل لا منته
كغربة السواقي
في صحراء لقيطة
يهيم بقدر الأعمار
يهيم الليل يهيم
ما وراء الليل
يصب الغبار ثدي الفجر
في الركن العصي
وصبيه
يطوف بالمدن المكفوفة

عليّ أن أفكر
كي نلتقي
وإن
نأثت الفكرة
فإني شطر من العباب
لقمة فراغ هائل
ليموت الكوجيطو
فأنا كائن بين الجدار
في حوض عينيك شيء لا يُرى
شذى حلم
من رحم الضوء
والبحر من سماء الليل
يحمل المدن المخصصة
من تراب الأمس
رماد على كف الجوع
وفي سر مدامك
غيبوبة
رنين محنة النواقيس
والأبعاد اللامتناهية

للأنشقاق
نبيذُ وصلٍ
على فنجانٍ مجهول
سنشتري القمر
من ضحايا الشمس
فالليل يسري
الليل يهيم
بيحور التمني
وطعم الأثواق
على شفتيّ النهار
حنين من شهوة الرماد
يقصف بصوت الصمت
من بعيد
ترقص الأقلام السابجة
في حوض الجبل
تغمرها ظلال عينيك
ضوء بنسمة الورد
ستون مرة يعود الحلم
ستون مرة

أكتب القصيدة أجيرة مناجم البحر
وترتوي باخضرار الليل
كم سنة
وأنا أبحث عن الحرف
لأشيد الكلمة
كم سنة وأنا أبني بيتاً في العراء
وأبحث عن نوافذه في زرقة البحر
ستون مرة
على تساييح الأيام
ستون
رقم عالق
كإله البحر
يقرأ الحقيقة
في سر الموج
ليبتعد الضوء
حين يسيل الأجل
بالأشواق المرتجفة
وراء السديم
كانت أُمي

تتجرع نحيب الليل
تبكي أيتام النهار
وكننت بين الرفوف
أبحث عن مكان انصهار دمي
وأعالج مسوداتي
تدثرني الريح
وأغازل عروس الليل
على فطير يابس
وأبتكر حلبي
من هذياني
المورق بالمفردات الشائبة
الليل يهيم
جثمان متواصل
أنين فوضى
صدر اللهاث
موسيقى
كغيث الخلود
بين وهاد الروح
وقصف العاطفة

في الصمت
عذرية الأشياء
لتعود
تتناسل اللحظات الفارغة
يطفو شعاعاً
من قيلولة الوقت
يتماذى
يزرع طقوس الحطام
عيناك بحر
وأنا طفل موجك التائه
كنا فراشات يتيمة
نعانق موت الضوء
ونتمرد على الريح
لننعي السنابل
غريمة الأرض الغريبة
منازل حيناً
مدنٌ بدون عنوان
تائهةٌ في ثوب الأرض
نزيف شمس

غاب في رقعة الديجور
تسايح
حين يغنى عن الجفن
في قسوة الحلم
وشراة الوهم
جسمٌ يعاكس الضباب
في فناء العزلة
ويبحث عن غبار
سماد الأشعة
يهيم الليل
يهيم
سحر مجنون
على خد ثمالة المعرفة
وإرهاق الفكرة
يكتب الظمأ
سوالف الانتظار
ينفر الحلم
أبواب الذاكرة
وطفلة الأمواج

تصلي
مع تساييح الرمل
وجدار الأنفاس
يبحث عن المدينة البعيدة
حيث البحر
ما تبقى من نبيذي
آخر حلم ترعاه ذاكرتي
آخر شيء يعري الخيال
آخر شيء لا يملكه جسدي
على قاطرة ثوب الإفرنج
رسم الخيال بريقه
نفس طال صدر البوارج
في الحانات المكسوة بالتراب
شفقي الريح
لثمة حارقة
تأهية
في ضباب الذاكرة
الليل يطفو على صدر البحر
كسير محيا نجمة

لم تعانق الضوء
على وشم اللحظات الميتة
أنين التراب
أمشي
يتمدد سكري
في قارورة النصيب
أمشي
بلا هواده
كريح منفية
أمشي
وفي يدي
عكاز شوقي
أمشي
في مستعمرات اللهب
لا شرق
يأذن لي
لا غرب
يحمل حلمي
تغتالني الذكرى

ونعوش الأيام الغائبة
ملّت الاجترار
أمامي بحر لا يستوي
وورائي
ضحية المغيب
لست بطارق
لأكسر النوافذ
وفي البحر يتمي
على غلال السواعد
الليل لا منته
كغربة السواقي
في صحراء لقيطة
يهيم بقدر الأعمار
من يأتي إليك
بعنواني الماجن
ومرأة المحيا المغتصب
حين كان الضحى
يعجُّ
بشعاع الانتظار

وكنـت في لـحـن الغـيـث
أرعى سـوالـف سـنـبـلة
وأرـمـم الذكـريـات
مات الـلقـاء
وتوالـت اللـحـظـات
أسـيرة الأـمـس
قالـت الذاكـرة
أنتَ مـوجـودٌ هـنـاك
ارـتـدِ الرماـد الـذي تـفـحـم
وامـض
فـعـشـقـها انـمـح
الـليـلُ يـهـيم
كـم مـوت لـديـك
لا تـكـتـبـه السـماء

همس تلال

وراء الشمس المختفية
أطفال على بحور الغيم
أمس الفرات
نعش الضفة
ليل السماء يهيم
فرشاة النهار
تجتني
من الأشعة المشطورة
رمق الضياء
بحر المطر
على سهل الخيام
زرقة نطفة على الجليد
بين السراب
والربيع الرتيب
ضلع معزوفة
على جسد الريح

عراء الهياكل
سماد شوق
طفلة المراسيم
تنشر دم الأضحية
عرش البكاء الناضج
وقبلة
ترتشف من الوداع قيلاً
وفي رحم الأغصان زوبعة الظلال
والبوارج تحمل الحلم الباكي
على الأطلال
وما تبقى من الديار
رائحة الأمس
وحلمٌ أخرس
دخان الجدار
يهمس سره إلى المكان
وتلوح على فضاء النوافذ

غربة طائشة
كان
هناك بين الكتب المتراسة
بريح الصمت

ضريح العنفوان

شتاءً على الرصيف
مساءً عارٍ
يزحف
لحظات متموجة
لحن
يبحث عن معزوفة
خيالٍ شاردٍ
سكرة الهوية
مشيئة تبهر في عزلة
مرأة طيفٍ منعزلٍ
يتساقط المطر
على مساحيق تابوت النهار
خطواتٍ على رموش
الطريق
صداها
يشق رحم الظلام

ورائحة الكون

تعانق التراب

لحظة

ترسمها

لغة الماء

لحظة

على غريبال الضوء

لحظة

القلوب المنكسرة

لحظة

مبهمة

كعري الليل

في صدر الأطياف

ناضجة

كعرس الختام

بعيدة

كصورة آدم

ما اسمك

على النافذة المكسورة

وهلال البحر
ما اسمك
في صدى الحروف
بين الجسور
التي تلدُ تَوَّءَمَ الفجوة
بين القناديل
والضوء الذي يهدده الريح
ما اسمك
الذي تردده
الشفة القانطة
من عزوف شوق الكلمة
ما اسمك
حين تنطفئ غزارة اللغة
ويرسم الوشم
ما تبقى
من الحروف
ما اسمك
في خجل الموت
وموت الذاكرة

ولأنّحة التراب
بابل
توارثت الألسن
فمن ينطق بخمرة المعاجم
كنا أطفالاً
نعبث بالحصى
على ريق الشمس
لغة من عجين الشوق
هل ماتت اللغة
في صحوة الزفير
أم انتحرت الأشواق
في تلال النشيد
هل شيدت بابل
ليلاً
من معدن الأشواق
حين طال النحيب
من يكتب ليلاً
على صدر البحر
وحروفاً

على ربي الجمر
لغة
على فنجان متجدد
ألف في حوض الماء
ألف
مجرى السيلان
هل نسيت بابل
عرس النخيل
ها هي ذي الشطآن
تمتد أمام سحابة الأيام
الأمواج تتباعد أمام الوقت المائل
كلمات تغازل
صيحة الموج
لبحر يهدي ضريحه لمشط الليل
رياح رمل غائبة
ثدي سفينة
مرضعة لغريزة الحياة
بئرُ مساءٍ
تبحث عن مثواها

ألف ساكن
سئم
استضافة الكلمة
قرباناً راحلاً
وهلالُ الرملِ
في منفى الخطوات
إرهاصُ دمعٍ
من مقلتي صبيّ
يعزف
على وترٍ صديّ
ويكتب على عُري الشيطان
مديح القمر التائه
حروفاً تأكلت
مع أصوات الضجيج
انتفاضة قرى
غيث مساء
يعاكس الدجى
ويسرق مديح القبل
على وشم المحيا التائه

بين الحقيقة
والضوء الضائع
منازل تنتحر شوقاً لأهلها
وحقولاً تبحث عن أرواح بذورها
شمسٌ فقدت
عصافير أشعتها
مدينة في غربة المناسك تائهة
صوتٌ مبحوحٌ
تأكلت المعاجم
لتعيد بابل لهجتها
على غسيل الموت
رقراق الحروف
يغالب الصدى
يتمهل المدى
في لغة الريح
والسور
سفينة الأبواق
في رحى الليل
أيها الساقى

هات فنجانِي
سنمضي
في عراء الدجى
وغيمة الحروف
سنمضي
سنمضي بعيداً
ونبحث عن رحلة
فالمغيب باقٍ
وصفرة الوجود
تعانق الكون الكهل

حنين على المعاصم

هل ستعود ليلى
على أقراص الليل
فتنحني القِطاف
برعشة الجسد
ليستحمَّ الفراغ
في وهج الطفولة
هل ستعود ليلى
لتحيي
منابع الشوق
على هياكل الشروق
ليس لديّ
إلا خمائل الرمل
وصوت الريح
وبلاد تسعى
وراء ظلّها
وكتب تبحث عن روحها

ورعشة التَّحِيب الطويلة

ناولتها جسدي

لا ضوءَ يرسمُك

على هدير اليوم

سوى التوافذ

المشرّعة

على عُبَاب البحر

ونِدِيمُك الذي

سحره عُزِّي الفنجان

لتعود ليلى

وتغمر جسدي

كأضواء المدينة

على نجلاء الضباب

كنواقيس الأيام

التي تسعى

وراء رنينها

فالوردة الممسوحة

ورثتها أنفاسي

فقط الحروف

وضحايا الانتظار
وسبايا الوقت
وسواقي المعرفة
وفلسفة تغازلني
حين يكسوني الضجر
أنا وأنتِ
وبحور دمي
وسيرة المطر
على وردة نعوشي
أنا وأنتِ
وصبي مهدي
على خد الثرى
يعالج بسمه روجي
وسحرك الباكي
يرمم ثوب الشمس
تحت آذار الشموع
وريش المعلقات

يخدش أنامل

سرير كلماتي
فهل ليلى
تكفي نشيدي
وتُشيد أفقاً للسفر

أغصان

شابت
على أعين الموج
فرسان الطبيعة
غبار النقع
فاجعة الأشواق.....
ليلاً على الأرجاء سهل
والربيع يورق الاحتماء.....
تقاسم شفاه الزهر
قبلة على صبار الأنين
وبقايا نهار
يعالج سقم الأشعة
وعلى وشم الظلال
ضحايا رخام على تابوت الصدر
....

تراوغ جفن الموت
هي التي
تنشر غسيل حلمها صوماً
وفي خشوع السجود
تعانق شرفة التمني
وصال روح
على جفن نجمة
تشيخ.....
بقايا جسد
على تصدع مرآة.....
تتناثر أبواب الغسق
لون برتقالة
على مقلتي رضيع الشمس
تراقب سفينة
ومولد البحر.....
يلهو طفل
بصبر القمر

ويرسم الشوار
على خد الأيتام البريئة
ضوء هم
تنتشي خمرة الوداع
من فئجان الليالي الساقطة.....
يمتد الطوفان
يغازل ندى السراب
تكتب أمي ولادتي
تلبسني
خميرة المواسم
وبكاء حديقة
فالبداية
مغازل دم
وبارود ودخان
وممالك جديدة
تخطط فساتينها
من حوض الموت
أمي التي
حاكت

قميص روجي
وشيدت
أغصان شوقي
تحمل طقوس الأنهار
وحلم ضحايا النهار
وهلال دمعي
وطفل جرحي

أقواس

يقرع مدن البحر
هدير الشتاء
نيسان شوق أبدي
اختلال الطقوس
رايات
لونها رتيب
وغزارة الأمطار
تنعش النحيب
على أكف الظمأ
لجة الصحاري
تشيد ينبوع العيش
على فحم الحجر.....
تكسو أبواب التحنيط
سريالية الوجود
وأصوات الطفولة
في ضجيجها

تحي النشيد القتيل....

رمانة الأشواق

تتهادى في حوض الشتاء

مطر

مطر

على خد الخليج يبحث عن هوية

مدنٌ عارية

تفيضُ وحشة

تتقمص الربوع هلال الفراغ

تنسج كفن الرمل

على صدر التلاوة

مطر

مطر

حلمٌ بالك

يجتر الهدير

غريزة نشوة

على كئيبان الجسد

عيون ذابلة

تلاحق طيفاً

على تساييح اليم
وحزن النون
في الأشياء
سغب الكلمة.....
على أقواس الانتظار
لون المغيب
شعاعه العاري
هذيان الصبح
بين المشانق
وطقوس الحزن
ورماد الدخان
ودموع مصلوبة
على قوس الشفاه

سبايا الدمع

أنا يا سيدتي موتٌ لا ينتهي
وريحُ أمواج
لهلال صنو الخريف
ضوءٌ هائمٌ
في صدر عينيك
عشبٌ على وهاد الدمع
وهواءٌ بحرٍ يلثمُ الضفافَ شوقاً
لقبلة الرمل.....
كلانا
يشرب خطاه في رحلة الشوق
كلانا
يحمل قلب المنأى
ونشيد الهيام
ودالية الغياب
كلانا
يبحث عن محيا الآخر

على اللوحة المصقولة بريح الشمس

قد تجمعنا الكلمة

في غرفة اللغة

أنا وأنت

وتكتبينني بروح الأمل

وأكتبك بلهجة الروح

على شهد القافية.....

وبحور عينيك

تلوح في الدجى

في صمت الحروف

ساحة ومطر

وغرقى فصل

وعرين سنابل الوهم...

انهمري

حين الوداع يشق الأرض

ويكتب سنة الرحيل.....

خريف

ساعةً واحدة

وسنمضي

ساعة واحدة

قريبة سواف الليل

قريبة

رحى الانتظار

قريب

محو تلك الدقائق

من بستان الفرح

لترتدي

وشمة الروح

بسمة مخالفة

على ربح الوداع.....

أيها الطفل

كيف كانت أمك

على نبراس الدمع

هل كانت تمشي
على ريش البحر
هل كانت تؤدي
تلك المناسك
في رعدة الخريف
هل كانت تنظر
إلى مرآة
عرسها اليتيم....
شفاه
وردة نهر
طفت مع المياه الجارية
وانغمست
في يعسوب البحر....

أن... وتئن الحروف

أن أقرأ
لك آخر حلمي....
أن أمشي
ترفضني الطريق.....
أن أسأل الليل
والقمر
عن فستان آخر نجمة
كانت محلقة
قبل أن ترف
إلى خمل الضوء.....
أن
أبحث في اللغة
عن حروف
ترعى قلبي
في الضيعة الحارقة
والشمس المتمردة

التي تطول ألسنة الحريق.....
أن
أعانق القمر الجريح
حين يقسو اليم
وتسافر النجوم بحلم الضوء.....
أن
أبحث في المشيئة
عن شيء
يدثر شوقي
وأ تقاسم مع الوقت
اللحظة المملوكة
في دعاة مشاعري.....
أو أبعث
برسائي
على هدهد الحنين
حين تموت سبئي

خلخال الفجر

أنت رحلة
وأنا جسر العبور
أنت وليمة شمس
على أسارير الدجى
وأنا البحر الساكن تحت قدميك....
في رحلة الأمواج
أزرار شفتيك
قربان بدر
تهاوى من حديقة أسطورة
يبحث عن ليالي الاختمار
وجفن الوصال
يبحث عن وجنتيك المنصهرة
في عروقي
يبحث عني فيك
وأنا أبحث عنك في.....
أريج أنفاسنا

غيبوبة حلم
على رواق الظمأ.....
يا أنثى الرحيل
على زئبق المساء
انفطرت الشمس
وأنا الليل إن طفا على الهدير
أنا الصخر
والرمل
والنخيل.....
أنا تائه
يبحث عن سبيل.....

رماد

جلجامش²
لنهيئ الرحيل
إلى واد العشب
ونقرأ الطعم الأزلي
ميلاد
على جفن الموت
وطوق الحصار
وشرفة يتيمة
وسهل بريق
في غيبوبة الوهم
نحسب أيامنا الباقية
على عيون النخيل
هل يكفي عشقنا
للمساء الأخرس

² جلجامش هو ملك تاريخي لدولة الوركاء السومرية، وبطل مهم في ميثولوجيا بلاد الرافدين القديمة وبطل ملحمة جلجامش

حين شيع البابليون الهياكل
وانتظر السمار
آخر نجمة
في قارورة الليل
وشيدت روما
موتها
على خد الشمس
تيمم على جدار الرماد
بعيد
عن بلاد الشرق
والجزر المعلقة في الهواء
بعيد
عن الممالك
في رحاب الوصية
بعيد
عن جسد المدن الحافية
كم يلزمنا
من حلم

لننقش على أساور النساء
زهرة الصبا
ونزيل أفيون الفرح
المغسول بالبكاء؟!...

غربة شاعر

منفئ في عصمة الليل
عرس ملغوم
محنة الأشياء المستعصية
حلم مبنج
في الأقاصي
وعقول الكلمات
خيام في البراري
تختلج الأصوات
في زيف الوصول
طريقها لا ينتهي
يلفظ الاعوجاج
وتنحت الحروف الكلمات
زخرفة عديمة الوصال
تكتب بسمه الجوع
على ريق الأطفال
وغربة الندى

على شفتيّ الخريف
وسام الأزقة وريح النوافذ
ونجمة ترفض الاعتراف
والقلم
يسطر الموت المتخلف
على قميص الحياة
والقمر بضوء صبي
على مرآة الشموع المنتحرة
في قوس الظلام
والفراغ
لقمة الأشياء في معينها المضطرب
لون بجبر الكأس الممتلئ
جرعات منفصلة
مزامير
الكلمة انفصام مزدوج
بين معدن الأشياء
والغياب
بين الغيبوبة
وسكرات العاصفة

الكلمة بحر لا يجوز
لا يكثرث بالمعنى
يعانق النبض
في مأساة الجذور
حينئذٍ من غصن الذاكرة
وشوقاً عارٍ في موطن السكون
ووادي الخبر
والدخان والزفير
وصحوة الفنجان
ومتاهة
في بحريطول
ويطول
وفي صمت الكتابة
موت شاعر
وتولد الجسور

زنجبيل

هواء الشط المسوح
على خد التراب
أقدام حافية
ترسم حدائق الشوق قرباناً
لمهد الطريق
يطفؤ عطر النساء
على أريج مساء أزرق
على شرفة المغيب
تسير الخطوات
في انبعاث الليل
ترتوي تجاعيد البحر
بمناسك الضباب
انتظار/ على شرفة الظمأ/
صوت جامح في عراء الرجع
يعانق شيب الأغصان.....

زغاريد تعلقو
الحناجر المحنطة
بأرخبيل الحصون
منفى / في كبوة الريح/
على صدر الرخام
عرس لاجئ.....
وعلى غيمة الروح
زنجبيل الأيام
ينتحب الفنجان
في لذة الشوق:
هل ستأتي؟
والمغيب يحمل ما بقي من سفن النهار
هل ستأتي؟
تحمل إكسير الغسق
على بريق فستانها.....

رقصة

على هودج الريح

تنكسر المرأة

على وادي الشروق

تحمل عروس طفلة

غريفة

الدموع

ريح الصدى على أوراق الجفون

أَتَتْ

لم تستوفِ

غربة الشوق

على معدن الدجى.....

وصبي الشروق

في طي المغيب

يحمل سباتها.....

دمع لها

من كروم الجفون

انهمر

حزنها

على أسورة الرماد

في زرقة الليل

وتمرد الأشعة

خرجتْ

من طي جفني

تقتل حلمي
مدّاحة الورد
في عصف الشتاء
انتشلت دمعها
من أعماق بئر
يا مولاتي:
أنا الأخير
على لحن المطر
والأخير
من أعراف ليل
تهاوت سنابل نجومه من السطوح
حمل
زغاريد نساء
عانقت
الحلم الأخير
لشهاد
في بحر عينيك
ضوء مشكاة
صبح أسيراً

خاتمة موج
يحمل حلم البداية
على سحابة الدخان
ومغازل
الأرق
ومعادن النهاية
لك
أنين الشواطئ
وصيحة النقع
وصدى لحن
طفولة
من نحيب الأقصى
وزمهرير الخيام
وما بقي
من دم رصيف
ونزيف الأقدام....

أوردة المنفى وطقوس الريح

كنتَ والجدار على الأبواب
فراشة تغازل كفّ الزّهر
ترافق صحوة السّديم
في امتداد زهوة الأفق
تقرأ سيرة الدخان
على رماد المدن العارية
تفك السنابل مخالب الريح
في سراب الحكاية
يتعثّر مهد الأشواق
تُسكّر الأفواه صيحة الغربة
يرافق شفة الخيام لثام قبلة
على خد الصّريح
كُنْتَ والجدار على الأبواب
وقّعا على مخالب الطريق...
انتظاراً في غفلة الأشياء
أيقونة على جسد البحر.....

على جسور الغيث
يُطعم السحاب
زهرة المنفى
صمت وبداية
على زهرة الأشواك طين
حين تدق النواقيس
حبات الرنين
في مجرى السعال المورق
على أوردة الحنين
صريع الشمس
ينقش جداول الأشعة
سراب التمني:
عشق متصوِّف مجهول
شاعر أغمي عليه
في طقوس العبارة

جدار

أمام رحاب الفناء
المعكوس على السمرة
وهاد عينيك
حين تهوى الأدراج
ففي النجوم
كم شعاع لديك
على سماء الشتات؟!
لينتحل الضوء
شهاب مقلتيك
على وهم الشرفات....
على صدر الجدار
وضوء النوافذ
بماء غيث الانتظار
أنا وأنت

وخلايا معطفي
واكسسوار الشوارع
نشتري الشذرات المنسية
عن جسد المدينة....
ليل على غيمة الفرح
وشط من رخام
وندى المغيب
وماذنً على تلال الجرح
تغسل صمت الأفواه
كم لنا من حاوي ومشنقة
كم لنا من معاجم في سيرة الطوفان
كم لنا من لهيب ودخان
ووريد الأرصفة
جسد على رقيم الموت
فرشاة حديقة
وتفاحة على خد الشمس
ليعكس الجدار السّوار.....

من يشتري ملح البحر
وخبز الفواكه المنغمس في التراب
ويكتب على أيقونة مدينة
وحي الجدار
صبار التراتيل
حين يفتقد طفل غيمة

سيل الخطى على ضريح الليل
(إهداء للشاعر المغربي أحمد المجاطي)

وننسج الحروف المصلوبة...

على أسوار المدينة

والشوارع الضيقة

تحمل بؤس النشيد

عويل الطرقات

ومجانبة اللحظات اللقيطة

تدثر فاكهة الزمن

أبحث عن حروف اسمي

أنتظر حين تصحو اللغة

من الآفات اليتيمة

أزرع خطواتي

على بنفسجية الليل الهائمة

أتنفس عربي

لأكون

حين يستقل الصدى

على عكاز وهمي

وتنير شعاب المخيلة

ألوان الحضيض

مثنى

ذلك المساء

على أصداف

خلايا سراب حلم

ونبيذ الوعي

يسقي حظنا الميؤوس

حروف أجيرة

تسعى من وراء جلاد الكلمات

تئن لتنمحي

وتشق أوردة الصحراء المتعطشة فينا

والكأس يروي معين اللحظات

بثوب الفراق

لنحتسي ماء البحر

ونترك الباقي للسفينة

وللزوارق

حين يغمر على الشراع

لتغسلنا ثمالة الحروف
في حوض الموت
أنا وأنت
عابرون
على الشفاه الممزقة
بطعم الورد
وعلى كبسولة المسارح
في فضاء الدخان
رماد يبحث عن سيرة
يتلاشى الليل
في سعال النجوم
ويغمض القمر الآهات الحزينة
في جوف السماء
لنعانق المدينة في متاهة الرحلة
خطواتنا ضريرة
كرجفة الروح الأخيرة
وسواقى الظلام

تشرب لجة النجوم العذارى
نحمل نشيد الغمامة
كترياق
حين يجف الريق
لنعزف نشيد السكارى
في آخر حانة
نسيها الليل

على ثوب زهرة في اصفرار الحقول

هنا....

في بيوت الحجر

ونعش الطقوس

لا غربة تضيق

في نعي الشمس

لا بحر يولد

من وجدان الظمأ

حين يتعثّر الحب

في مرافقة الغيث

نصافح القيود

ألف مرة

وألف مرة

نعود

وتؤويننا شعلة الليل الفضفاضة

على أبواب الاعتراف

نعيد للأساطير

شرفة الولادة
وشحنتها البدائية
وننحت على طقوس طروادة
ثوب المشاعر
في اختمار الأنفاس
في اللحظة الغابرة
عن نعي الختام
وحيدة الانتظار على شرفة العاصفة...
هنا

انكسار البحر على شفتيك
مئات السنابل تموت عشقاً
مئات الأمواج تنخر المدى الكاتم
مئات الشواهد على عرس الألوان
لا غيث ينهال على رماد البحر
ليل القنوط
يستبيح موطن آخر نجمة
صليب الأشعة
ينشر غسيل الأحلام
تفرز الضحايا

هلال الرقيب....
هل أنحت بأنا ملي
تمثال البرق
وأصنع من الزجاج يتم يدي
وأهوى كشمعدان على نجمة الريح
وأشاطر الحفاة نرد الغبار...
معطف غجري على جسدي
تنهيدة شتاء
حين تورق على الحجر صلاة الغائب
وتبتعد النوافذ عن البحر
وعلى مرآة الأرغفة
ما بقي من شبح الهياكل
أحبك
كزهرة نجم خافتة
كبحر يناشد الاستقلال عن الجزر الخلفيّة
كحلم في المنفى
كأيقونة فجر وراء الجدار
كعرق في فوضى الشمس
كلحن السيول في واد الرماد

كإبريق حبر في دعاة المجلد
كأساور على المعاصم
أحبك
والبداية عشق
على سواف الانفصال....

شِفرة انتظار عالق

وجهك الضائع
كنخيل وجهي
بين عواصف الشرق
والنهر النائم في عينيك....
شاهد الانتظار
قُبلة حارقة
على قسَمات شفَتِيكَ
تتلمذ الأقدار
وتنام على الحجر....
كم وقتاً مات
كم وقتاً سيموت
وأنتِ الجفن
النابض
في أقطار مقلتي
بين مطر الليل
وسفن الغمام

بين الجوع
ورقصة الغبار
بيننا
عشاءً باردٌ على رmq الصُحون
وقهوة على السواحل
لنرى العالم
بأعينٍ أجنبيّة
ونفرز الضحك المتوحش
من سلاله الطين
حين نهب زهرة العمر
إلى حزن الضوء
ولُجّة الانكسار

رعدة

عُدْتُ وَحْدَكَ
وَوَحْدَكَ كُنْتُ
هي البداية على ريق السكون....
حلمٌ سيأتي
ينفضُ حروف الاسم
لِتَنَعَّمَسَ الأشياءُ
في مهدها
شيءٌ آخر
يُنْقُرُ زئيرَ الحرف
وينكسُ أشعة النفي
يسيلُ الغيثُ جرحاً
مرآته
تعالج نكسة الوضوح....
لتترك محياك
للطيف المتطفل
بين عذراء البداية

وسحر أرق الوصول
وحدك ستأتي
حاملاً
على ذراعيك
حلماً آخر
بمضمضة الديار
حين يغمر
على الغيم

غروب

دع الديار
وبحر الغيم
والمنافذ الهزيلة
في ترقيع الفضاء المهزوم.....
ضع أوصالك
تحت ريش النهر
وانتظر البرعم النهائي
التائه عن الحقل.....
مشقة واحدة
في البیداء المنفصل
عن عرش الماء
سينفصل الأرق
من لهاث الطين...
شيّد عكازاً في الصحراء
حين يزهر الرمل
وانتظر أول شجرة عارية

تتراقص أغصانها
في ريح الهجير....
هدير
سيلان السيول المنبثقة
من حوض دير
كان يزّكي
نسمة الوداع
ومئذنة كانت
تغذي الأرواح الناشئة
على بردة البحر....
دع الديار
وأبحر في الغيم
واسأل الحبر
عمّا تبقى
في أوصال اللغة
وسطر
لك الدموع الباقية
على مخالب الصمت
ودوحة القيظ

سّطر
على الوهاج المصلوبة
توهج الفيض من عناء السفر
واسأل الربيع
عن خرافة التضليل
سّطر
على قربان الشمس
مرآة الغروب
حلم الشباييك
في المدى المنكسر....

هواء منكبس

هواءً ينكسر
بين وجنتين
وغسيل ضوء
سأمشي
على كف الرمل
خلف الستار البعيد
أحمل
قميص خلاياك
وأسافر...
على خدي
بصمة شفتيك
ومنديل
وعرق الأرصفة...
سيدتي
في ريح المكان
خريف الذكرى

على أسورة القُبل...
وبئراً حزينة
كانت تأوي
حلمي
وأشواق رملٍ
على مرآة البحر
ومحياكِ
في انتحار النسيان
وحنجرة الماء
وراء خصلة القمح
وهديل
خلف لهيب الوصول
سأمشي...
على تلال الموج
ووردة العاصفة
سأمشي....

زهرة المناسك وحلم الصمت

سترعى السنابل طقوس الصمت
حين يسقط اللّجام
على الشفاه المتطاوله
في سرّ الغيث
سينتحب المطر
على عروش الفناء.....
سآتي إليك
بزهرة مفقودة
بساتين الفردوس الأول من
ونشيد الفجر البدائي
بوصايا الأشجار
ورنين التهافت
إكليل ليل
بمجر حلم
ونورس حديقة
حنين آخر مني

وعروس تبغي
على الأوراق المتلهفة
إلى طقوس حبري
عشق وردي
على خد أعشاب البحر
إكليل زهر على الرمل
فابتسمي
أمام شرفة الطريق
لا مدن في الشرق تغني
ولا رقصة في الفضاء
على غسيل البكاء
ضوءك المنفرد
في كهوف المساء....
هكذا
تتساقط ألوان شمسك
لينمحي محياك
ورموش عينيك
ترفض الإقطاع المتاكل
في صيحة الوداع

لك ريشة الحطب الباقية
لتدفئة زهرة الأموات
لا ملاذ إلا جرح الصمت....
في زرقة عينيك
الجرح القديم
والنطفة الأولى
على أمواج البحر....

بقايا عطر

بقايا عطر
على معصم الأرجوان
ويأتي الليل
بحناء الرماد....
يعزف
لحن الذاكرة
رنين سحابة
لحن البنفسج
الضائع
على طقوس الأوتار....
أطلال عروس
على ريش يمامة
أغنية
أبدية
تتقاسمها
الشفاه

المنحلة

على زهرة الوحل

يذوب الفراق

في صيحة المساء

ظل صبح

يداعب

نسمة الخريف

بدونها

يبقى الربيعُ طفلاً...

رقصة

هجرية

في ريح السكون

تشرب

عطر الدخان

تكشف

عن ثوب السماء

في زهوة الليل
وآخر
حانة
ترتشف
خمرة الجسد

محتويات الكتاب

5	الإهداء
6	المقدمة
46	وقع الغيم
49	شهاب طقوس على ريح مساء راحل
53	خلايا غائبة عن جسد الكلمة
56	غربة الأنين
58	عزلة
60	أديم
63	سبع زهرات
65	وشل
67	فواصل
72	ضريح ليل عارٍ
74	إياب
77	رماد الشمس
81	عزف على أوتار الليل

94	همس تلال
97	ضريح العنقوان
105	حنين على المعاصم
109	أغصان
113	أقواس
116	سبايا الدمع
118	خريف
120	أن... وتئن الحروف
122	خلخال الفجر
124	رماد
127	غربة شاعر
130	زنجبيل
133	ريح الصدى على أوراق الجفون
136	أوردة المنفى وطقوس الريح
138	جدار
141	سيل الخطى على ضريح الليل
145	على ثوب زهرة في اصفرار الحقول

149	شِفرة انتظارٍ عالق
151	رِعدة
153	غروب
156	هواءٌ منكسِر
158	زهرة المناسك وحلم الصمت
161	بقايا عطر
164	محتويات الكتاب

ثم نحمد الله

مناجم في حوض الشتاء

ديوان شعر فصحي

أحمد بياض



الطبعة الثانية

1442 هـ - 2020 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

مصر - بورسعيد

جوال: 0020121132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com